ISSN : 2716-7984
المجلد05/ العـدد:02 (السنة 2023)، ص ص:39–45
المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية

الرموز الدينية في منطقة سيدي بلعباس دراسة تاريخية انتروبولوجية

Religious symbols in the city of Sidi Bel Abbes, a historical and anthropological study

محمد مكحلي

Mekahli mohamed

جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس /الجزائر.m_mekahli@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2023/11/26 تاريخ القبول:2023/12/28 تاريخ النشر:2023/12/31

ملخص: شكل الواقع السياسي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي في الجزائر،وما حمله للشعب بمن معاناة وبؤس واضطهاد وفقر مدقع حيث لم تخلو أي منطقة من الجزائر من هذا الوضع الحالك و ومدينة سيدي بلعباس شانها شان بقية المناطق عانت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، إلا أن المتتبع للجانب الثقافي يشهد طهور عديد السماء في شقها الأدبي والفني التي حاولت إن ترسم لوحات فنية محاولة منها التعريف بتراث المنطقة حينا وبالتعبير عن مقاومة الأهالي للمستعمر حيث شكلت الموز الدينية كالمسجد الاعظم والزوايا التابعة للطرق الصوفية مع الرموز والمقامات التابعة للاولياء الصالحين، ان الناظر لهذه الرموز الثقافية يقف على دورها الريادي في تشكيل هوية ثقافية للمدينة كما ان تحولت زمن الاستعمار الى حواضن سياسية لمقاومة الاحتلال بل انها تحولت الى خلفية للعديد من الاحزاب المدنية الوطنية لاحقا هذا ما سنحاول التطرق أليه في هده الورقة العلمية بالوقوف على ماهية الرموز الدينية اهمها في منطقة سيدي بلعباس– تحولها الى حواضن خلفية للمقاومة الثقافية

كلمات مفتاحية: الرموز الدينية ،مدينة سيدي بلعباس، الهوية، الزوايا، التعليم

Abstract:

The shape of the political reality imposed by French colonialism in Algeria, and the suffering, misery, persecution and extreme poverty it brought to the people, as no region of Algeria was free of this dark situation, and the city of Sidi Bel Abbes, like the rest of the regions, suffered politically, economically and socially.

However, those who follow the cultural aspect witness the purification of many of the skies in their literary and artistic aspects, which tried to paint artistic paintings in an attempt to introduce the heritage of the region at times and to express the resistance of the people to the colonialist, where religious bananas such as the Great Mosque and the corners belonging to the Sufi orders were formed with symbols and shrines belonging to the righteous saints, the one who looks at this Cultural symbols stand for their pioneering role in forming a cultural identity for the city, and the colonial era turned into political incubators for resistance to the

occupation. It even turned into a background for many national civil parties later on. This is what we will try to address in this scientific paper by identifying the nature of the religious symbols, the most important of which in the Sidi Bel Abbes region - their transformation into background incubators for cultural resistance
Keywords: **Religious symbols, Sidi Bel Abbes city, identity, angles, education**

1.مفهوم الرموز الثقافية:

1. 2 الهوية الجزائرية:

تعتبر الهوية ظاهرة إنسانية، مرتبطة بالكائن الإنساني، وهي تتحدى نتيجة الفعاليات الشعبية، عبر استقرار ذاكرة الشعوب، حين تشعر بخطر الذوبان تؤدي إلى تحرك المشاعر حيث يسترجع الإنسان مقومات كيانه (سالم، الأطلسية للنشر، ، صفحة 8)

يمكن تحديد الهوية، اعتمادا على عديد الخصائص، والسمات الدالة للأمة، كـ"اللغة" و"التاريخ" و"الدين" و"القيم" و"العادات" و"التقاليد" والتي تتمايز بها عن الآخر، حينا، وتحارب من أجلها حينا آخر (مكحلي، دار الاصول سيدي بلعباس، صفحة 2).

يحتل سؤال الهوية مكان الصدارة، في ثقافة الشعوب خاصة، العربية والإسلامية –أصبح المفهوم ملازما ،لأوضاع البلاد الحضارية، والتاريخية، ونتيجة للمتغيرات الدولية عبر نداءات، تدعو إلى الدفاع، والذود ،عن الدولة القومية والقطرية، وحقوق الإنسان، والمرأة والأقليات. (مكحلي، دار الاصول سيدي بلعباس، صفحة 5)

خلف الوجود الاستعماري في الجزائر، شعورا بالضيم، والإهانة ،والثورة، نتج عنه نوع من الإيديولوجيا الضمنية، لدى عامة الشعب، حيث وجدت مقومات الشعب ،وهويته العربية الإسلامية، نفسها ،أمام تحد كبير ،خارجي واجهته بالإصلاح والتغيير، والثورة ،تارة وبالتقليد والرفض تارة أخرى. (مكحلي، دار الاصول سيدي بلعباس، صفحة 6)

بدأ مفهوم الهوية لدى الذاتية الجزائرية في البروز، بين السكان ،حين اختلطت الظروف الناجمة عن الواقع الاستعماري، مع ما نتج عن ذلك من وحدة الأرض، واللغة ،والثقافة والدين، والتي عززت الروابط بين السكان، ونمت مشاعر الانتماء ،لتاريخ مشترك ،ودعمت التقارب والوعي بالمصير الواحد شكل نوع، من اللحمة الوطنية. (حفيظ، 5و 6 ماي 2002)

تشكلت في الجزائر مع الفتح الإسلامي، مادة هوياتية أساسية ظهرت ،عبر نواة تمحورت حولها إضافات، تبلورت في المراحل القادمة، مثل فيها الدين الإسلامي الرابطة الأقوى التي ألفت بين العناصر السكانية من عرب، وبربر وكان هذا التأليف إفراز قوي ،لحركة طويلة من الرفض والقبول، ومن الانشقاق والانسجام، ومن التحالفات والحروب ومن التوحد والتشتت، ساهمت في النهاية لأن تكون عمادا لهوية محلية (سعيد، 2012، صفحة 12)

2. ماهية الرموز الدينية:

عرَّف محمود الذوادي عالم الاجتماع التونسي الرموزَ الثقافية إنها منظومة اللغة والفكر والدين والمعرفة والعلم والقوانين والأساطير والقيم والأعراف الثقافية

ساهمت العوامل السياسية ومعها الاجتماعية، والاقتصادية، في بروز هذه الرموز الدينية وكنتيجة لعديد الارهاصات السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية (الغني، 2020، صفحة 66)

عملت العوامل المادية، والنفسية، والاجتماعية على نمو هذه المؤسسات حيث انبثقت التجربة الصوفية مع ما عرفه المجتمع من انهيار سياسي،واجتماعي أذكى نمو المسؤولية الأخلاقية لهذه الرموز اتجاه المجتمع (كمال، 1986، صفحة 91)

لعب الأولياء والمرابطون دورا مهما في مقاومة الاستعمار ، كما ان زوال هذا الخطر كان حافزا في تحديد وظائف الطرق الصوفية ، والتي تحولت إلى زوايا وأصبح لكل طريقة زاوية،فأصبحت بذلك موقد مغناطيسي للتأثير على المجتمع. هكذا يتبين لنا أن الانتماء الطريقة مهم جدا لإضفاء الشرعية على الزاوية، نظرا لمكانة الشيخ و"قدسيته" بوصوله مرتبة القطبية ،فتصبح الطريقة،والزاوية منسوبة له وهي بذلك مأسسة لسلطته الكاريزمية (كمال، 1986، صفحة 92)، فتتشكل سلطة الشيخ أو(الولي بعد وفاته) بين ما هو واقعي،وميثولوجي كل هذا من خلال صورة البطل المغوار، في المخيال الشعبي فتتضح في شكل واقعي،وميثولوجي كل هذا من خلال صورة البطل المغوار، في المخيال الشعبي فتتضح معالم الطريقة ومعها الرموز الثقافية والدينية ، ضمن إطار تسلسلي تبرزه تشابك أصابع أتباعها،ومريديها

3.الرموز الدينية في منطقة سيدي بلعباس:

3. 1.المسجد الاعظم:

ان ما يميز منطقة سيدي بلعباس وساكنتها تكريمهم للعلماء وتقديرهم للفقهاء والصلحاء وتشجيعهم لرجالات التصوف وحفظة القران مما كان له الاثر البليغ على نشاة هذه الرموز الدينية

كالمسجد الاعظم الذي اسسه جماعة من اعيان المدينة اثروا على انفسهم ان يكون للمدينة معلما دينيا ورمزا ثقافيا يميز السكان عن الاوربيين فكان ذالك العام 1884 وثمت توسعته العام 1961 (منصف، 1995، صفحة 8)

كان المسجد الاعظم منارة دينية ورمزا ثقافيا وحضاريا للمنطقة حيث تخرج منه علماء وكان حاضنة لهوية ثقافية محلية عبر مرور عديد العلماء والفهاء اللذين اسهموا في نشاطه وحركيته الدينية (منصف، 1995، صفحة 8)

3. 2 الرمز التربوية والثقافية:

مدرسة التربية والتعليم: تاسست العام 1942 وكانت مدرسة حرة تابعة لجمعية العلماء المسلمين لعبت دورا فعالا في تحرير العقول وفك قيود الجهل والامية كما كان لها الشرف في ان سمحت للمراة بالتعليم في صفوفها (منصف، 1995، صفحة 8)

مدرسة النصر: تاسست العام 1952 وكانت تحث اشراف حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان معلما ورمزا دينيا مهما خاصة بتدريس اللغة العربية الى غاية ادراكها لثورة الفاتح من نوفمبر (كمال، 1986، صفحة 65)

3. 3 الزوايا:

عرفت منطقة سيدي بلعباس تواجد عديد الزوايا منها ما يتبع الطريقة القادرية واخرى تابعة للطريقة الدرقاوية فرع العلاوية والبقايدية والهبرية ومنا ما يتبع الطريقة التيجانية اشرف على هذه الزوايا عائلات مرابطية شكل وجودها في المدينة ان متلث اعيانا للمنطقة ياخد بارائها كعائلة يسعد الزاوية الهبرية وعائلة بلقايد الزاوية البلقايدية وزاوية الغول العائلة التيجانية وعائلة شكشو الزاوية العلاوية (حفيظ، 5و 6 ماي 2002 ، صفحة 12)

4.الرموز الدينية حواضن خلفية للمقاومة الثقافية:

مثلت الرموز الدينية مظهرا خطيرا في المخيال الديني، جسدته، ظاهرة الاسلام الشعبي من خلال الانقياد الشامل للفئات الاجتماعية، حول محور الشيخ–فالانتماء الى الزاوية هو جوهر الهوية،وأساسها .فالنسب هو المعيار الجوهري في علاقة قائمة على ولاية العهد وعلى الوراثة والخلافة

(منصف، 1995، صفحة 65)، وعليه كان من البديهي، ان تتنامى وتبرز عديد الزوايا ، لتشكل فيما بعد قوى سياسية مدنية، ومعارضات دينية. (مكحلي، دار الاصول سيدي بلعباس، صفحة 12)لتصبح فيها بعد ملاذ الامان، ومرفآ الهدوء (سالم، الأطلسية للنشر، ، صفحة 45)ونتيجة لنفوذها الاجتماعي، ودورها الديني المقدس،والسياسي الزمني تبلور الانتماء للزوايا كشكل من أشكال الهوية بضبط الاهالي ، وإخماد صراعاتها.

شكلت الزوايا الدينية في منطقة سيدي بلعباس معطى جوهريا لا محيد عنه في علاقتها بمحيطها، ودورها في نسج خيوط هوية محلية ،مع الاستجابة لحاجيات الفئات الشعبية. روحيا،ونفسيا، وماديا، واجتماعيا مما نتج عنه حس مشترك ،ساهم في تشكيل هوية ثقافية (مكحلي، دار الاصول سيدي بلعباس، صفحة 12) وهو وهو ما عبر عنه ابن ابي الضياف بان " ان الهوية هي الإسلام،والأرض، ومسقط الرأس، وسلطة الانتماء ،بالدرجة الأولى. (منصف، 1995، صفحة 23)وسلطة الانتماء وسلطة الانتماء تتمثل في مجال المنطقة ووليها الصالح سيدي بلعباس البوزيدي مع رموزها الثقافية والدينية الاخرى كالزوايا

مثلت الرموز الدينية للمنطقة الذاتية المحلية. كما اعتبرت المؤسسات الشفرة ،أو الرمز (الغني، 2020، صفحة 23) التي يمكن للمريد ان يعيش هويته فيها ويعرف نفسه في علاقته بالفئات الاجتماعية

ان التأريخ للرموز الدينة هو تأريخ لمسيرة منطقة سيدي بلباس الثقافية وعليه فالشيئ المتعارف عليهان المدينة هي نتاج **لاموريسسير Lamoricière و بيدو** Bedeau **وبيجو** Bugeaud

لكن وجب علينا الاشارة الى تواجد هذه الرموز وعلاقة ذالك بنشاة المدينة كفضاء جغرافي ومجال ثقافي ادكت دلالات معنوية وترجمت ذالك عبر حركية ثقافية واجتماعية فكانت الرموز ملهمة قبائل المنطقة تحميها وتحافظ عليها وفي نفس الوقت تحتمي بها من تدخل خارجي وخاصة الاستعمار.

وهكذا ارتكزت الرموز الدينية في منطقة سيدي بلعباس على مصطلحات مركزية ذات ابعاد تاريخية وانتروبولوجية في السياسة والدينة حيث كان لتواجدها عبر مجال المنطقة وفضائها ان عملت على تسخير كل طاقاتها ومرتكزاتها الدينية الثقافية والهوياتية للحفاظ على تاريخ المنطقة وعلى شخصيتها من الذوبان في عملية ممنهجة لابراز دور المحلي فالرموز الدينية كظواهر تاريخية اجتماعية وثقافية استطاعت

تشكيل نمط ونظام مجتمعي محلي اعتبرت وحدة اساسية للمجتمع وخاصة في تعاملاتها وممارساتها مع السلط المتعاقبة .

ومن هنا نصل ان الرموز الدينية في منطقة سيدي بلعباس اتخذت المسجد الاعظم والزوايا مجالا لنشاطها فاستقطبت الاهالي حبر القبيلة والطريقة فشكلت دعامة بشرية قوية عبر صهر ونشر روح العاون والتواصل وعبر تدعيم الروابط الروحية والفكرية وتعزيز الانتماء الهوياتي مع الارض فكان هذا الشعور عبر هوية ثنائية الاولى الايمان بالانتماء لهذه الرموز والعيش وسطها وفي مجالها والثانية هوية ممتدة لمجال الوطن كحاضنة لعديد المقاومات والانتفاضات وحافظة للذات المحلية في اطار استراتيجية مواجهة الاخر.

5.الخاتمة

ان تتبع دراسة الرموز الدينية في منطقة سيدي بلعباس لها اهمية بالغة لكون هذه الاخيرة عرفت عديد الاحداث وطبعت بتواجدها وادوارها تاريخ المنطقة والجزائر عموما سياسيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا فكان لا بد من فهم تاثيرها على مسرح احداث المنطقة وعلى تشكيل هوية محلية فكان علينا لملمة تداعياتها على النسيج الاجتماعي المحلي .

نسجت حول هذه الرموز عديد المرويات مزجت بموروثات شعبية ترددت عبر تاريخ المنطقة العريق ومما استطعنا التوصل اليه ان المنطقة اشتهرت اكثر من غيرها بكثرة رموزها الدينية وخاصة اضرحة وقباب الاولياء والصلحاء حتى اضحت كلمة سيدي موجودة على امتداد مجال المنطقة وفضائها الجغرافي وهو دليل على ارتباط الساكنة بالمفاهيم والمرتكزات الدينية للطرق الصوفية والزوايا مما كان له عميق الاثر على تعزيز الروابط الروحية والثقافية وتقوية الانتماء الى هوية محلية خاصة بالمنطقة

الهوامش:

- الحداد سالم، صراع الهوية بين الأنا والآخر، المغرب العربي نموذجا، الأطلسية للنشر، ط1، تونس، 2000،
- الوناس منصف الدولة والمسألة الثقافية في المغرب العربي،سيراس ،للنشر، تونس، 1995
- بحيرة سعيد، قراءة أخرى في الهوية التونسية المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 2012
- مكحلي محمد، البعد الهوياتي للفكر الإسلامي في عصر العولمة، مجلة آفاق فكرية، ع2، دار الأصول للنشر ، سيدي بلعباس، 20،

- الطبابي حفيظ صراع الهوية الزيتونة والزيتونيون في معترك النضال الوطني والاجتماعي،، أعمال الندوة ال 11 حول الزيتونة،، الدين ،والمجتمع، والحركات الوطنية في المغرب العربي،، تونس أيام 5،و، 6 ماي 2002 ،منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،، تونس ط،2 تنسيق عميرة علية الصغير 2006،
- بوطيبة عبد الغني، المدينة الصوفية، مستغانم نموذجا،، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي،، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2019,2020 ,إشراف ا.دمكحلي محمد
- عمران كمال الزاوية ظاهرة ثقافية قراءة في الثقافة الدينية بتونس من بداية القرن العشرين الى بداية الثمانينيات ضمن كتاب ظواهر حضارية في تونس القرن العشرين اشراف عبد المجيد الشرفي منشورات كلية الاداب والفنون والانسانيات تونس 1986